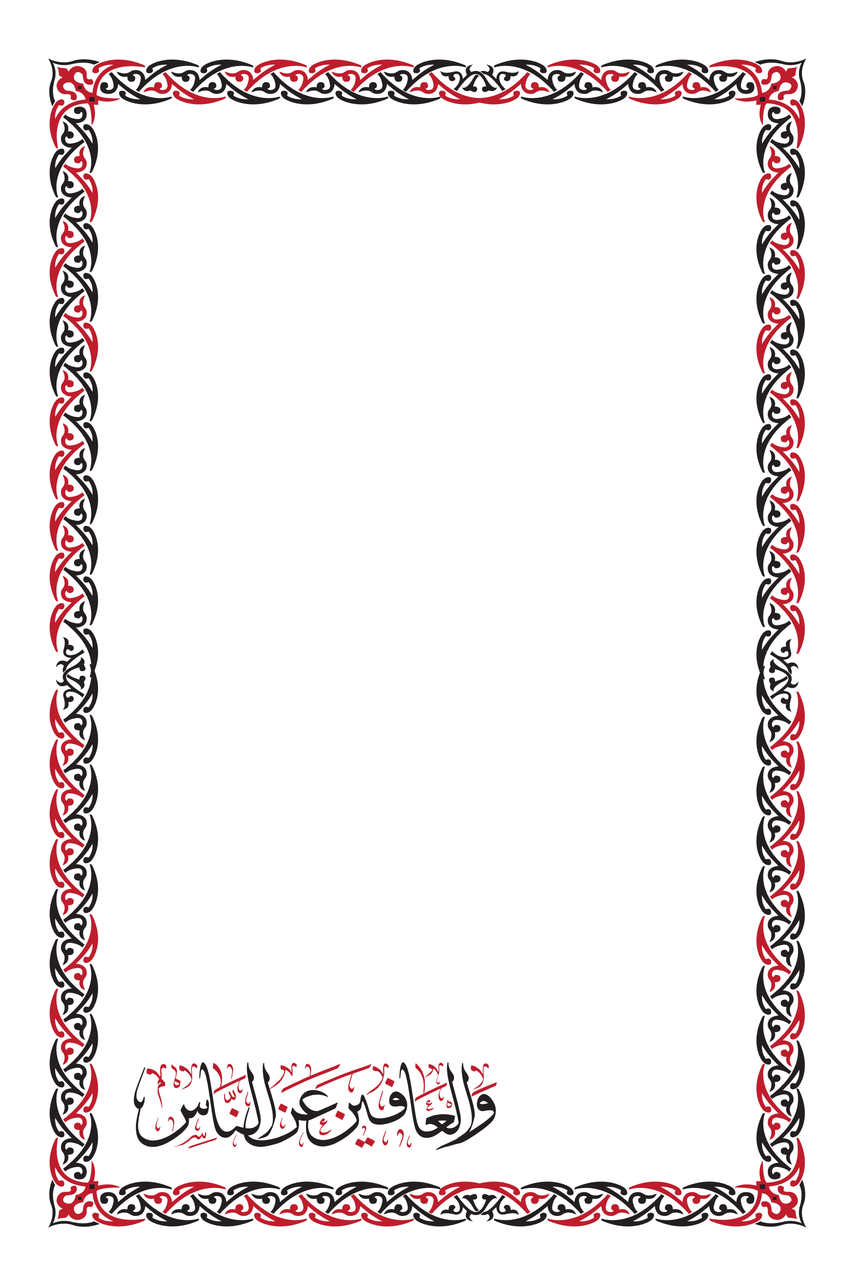
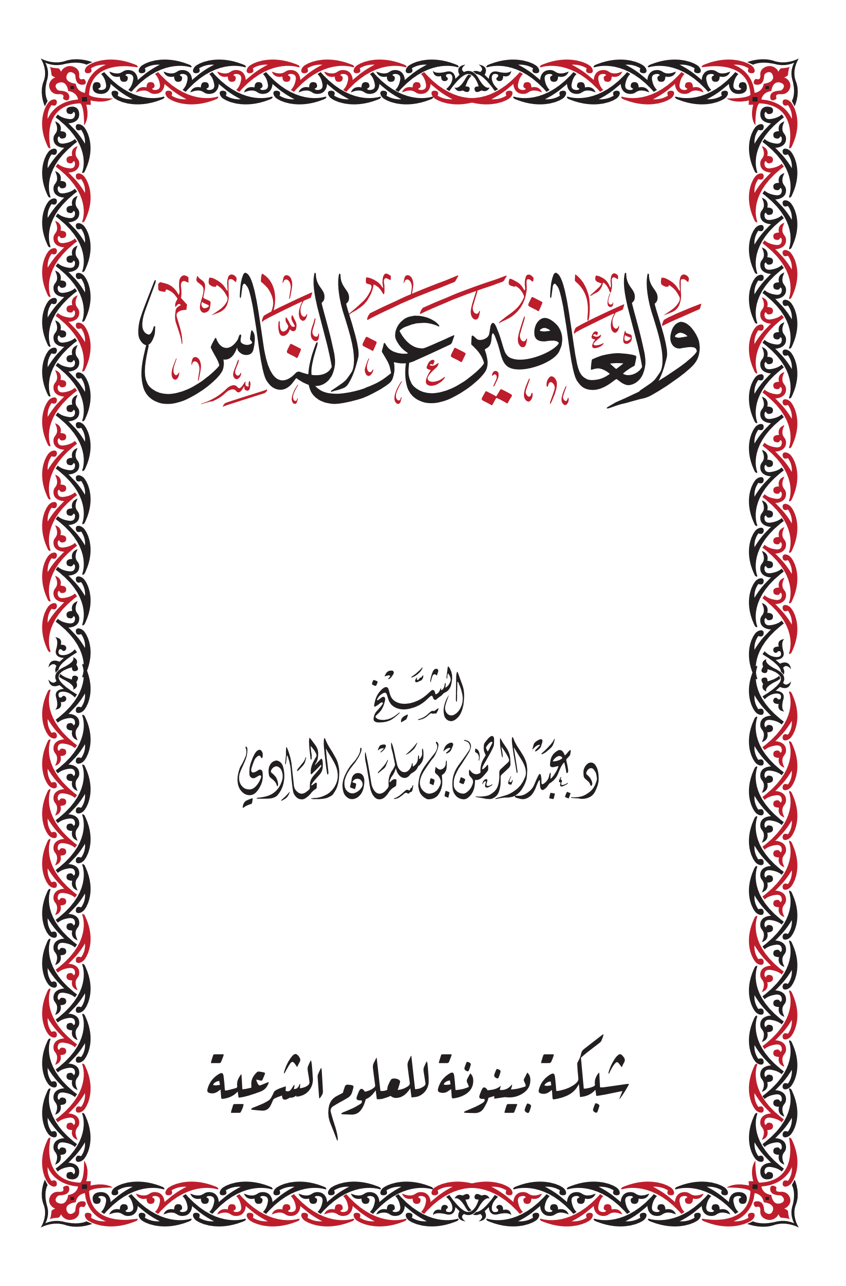
سلسلة كتيبات شبكة بينونة

والعافين عن الناس



الشيخ د. عبد الرحمن بن سلمان الحمادي


والعافين عن الناس



والعافين عن الناس

الشيخ

د. عبد الرحمن بن سلمان الحمادي

شبكة بينونة للعلوم الشرعية


بسم الله الرحمن الرحيم
حقوق الطبع محفوظة
للمزيد من الكتب
بينونة
@BaynoonanetUAE
@Baynoonanet
www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلىٰ آله وصحبه وسلم، أما بعد،

يعلو المرء بالإيمان وحُسنِ الخلق، وترتقي منزلته عند الله بالجمع بينهما، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا زَعِيمٌ -أي ضامنٌ- بِبَيْتٍ فِي أَعْلَىٰ الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسنَ خُلُقَهُ»(١)، والحِلم أساس الأخلاق ودليل كمال العقل وامتلاك النفس، والمتّصف به عظيمُ الشأن، رفيع المكانة، محمود العاقبة، مرضيُّ الفعل، والمتصف به والمتحلي به قادرٌ علىٰ أن يعفو عن الناس، ويتجاوز عن إساءتهم، وإذا ما اجتمع الحلم مع العفو في نفس المسلم وكتم غيظه وغضبه؛

(١) رواه أبو داود (٤٨٠٠).

كان مثالاً علىٰ الأخلاق، وهو من الخصال التي يحبها الله في عباده، ووعد من آمن واتصف به بالمغفرة والجنة، قال سبحانه: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**أي: لا يُعمِلونَ غضبهم في الناس بل يكفون عنهم شرهم، ويحتسبون ذلك عند الله** عَزَّوَجَلَّ»[٢].

إِنَّ الْعَفْوَ خُلُقٌ نبيل، أَمَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِه، ودعا إليه، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾ [البقرة:١٠٩]، وَالْعَفْوُ هُوَ: تَرْكُ الْمُؤَاخَذَةِ بِالذَّنْبِ، وَالصَّفْحُ هُوَ: إِزَالَةُ أَثَرِهِ مِنَ النَّفْسِ، وقد وعد اللهُ تَعَالَىٰ الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ بِجَنَّةِ النَّعِيمِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/ ١٠٦).

﴿ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤]، فَيَا لَهُ مِنْ جَزَاءٍ عَظِيمٍ، وَعَطَاءٍ كَرِيمٍ، لِمَنْ عَفَا وتجاوز، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، أَيْ: لاَ يَضِيعُ أَجْرُ ذَلِكَ عِنْدَ اللهِ فِي الآخِرَةِ.

ولنا في رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسوة حسنة، فعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ، فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»(٣).

والمؤمن يستشعرُ ثواب العفو وحسن الصفح، وأن الدنيا أهون من أن يغضب لها، فيقهر نفسه عن الغضب والمؤاخذة، ومن لم يكن حليمًا فعليه أن يدفع نفسه

(٣)رواه مسلم (٢٣٢٨).

للحِلم والتغاضي، قال الأحنف: «**لست حليمًا ولكني أتحالم**»[٤]، وإذا خالف المرء ما يأمره به غضبه، وجاهد نفسه علىٰ ذلك، اندفع عنه شر الغضب، وتجاوز عنه إلىٰ العفو، وامتثل بذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، واستحق أن يكرمه الله عَزَّوَجَلَّ في الدنيا بالعزة، كما قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا**»[٥].

وما كان هذا الثَّوَابُ الكبير للعفو إِلاَّ لِعِظَمِ أَثَرِهِ علىٰ النفس، وعلىٰ الناس والمجتمع، فبِه تصفو النفوسُ، وتتآلف القلوب، وبسببه تنتهي الخلافات وتندثر، فكم أذابَ من جفاء، وجدَّد من مودّة، وأجرىٰ من محبّة، وأتىٰ إلىٰ قطيعة امتدت سنوات

(٤) سير أعلام النبلاء (٤/ ٩٢).

(٥) رواه مسلم (٢٥٨٨).

فانتهت بالعفو في لحظة؛

إن للعفو مواضع بين الناس، من أهمها ما يقع بين الأخوة، فالشيطان قد يدخل بين الإخوة المتحابين فيفسد بينهم، ويوقع العداوة والبغضاء بينهم فيتنافروا، إلا أن يتغمدهم الله برحمته فيرزقهم العفو والصفح والتسامح، وقد ذكر الله لنا في القرآن الكريم قصّةَ نبيه يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع إخوته، إذ سوّل لهم الشيطانُ الكيد بأخيهم، فألقوهُ في البِئر، ثمّ بيعَ بدراهم معدودة، ووصفوه بالسرقة، وامتد الفراق بينهم وبينه سنوات، وانتهىٰ كلُّ ذلك بعفوه عن إخوته حين قال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٩٢]، أَيْ: لا عتاب ولا لوم، ولا ذكرَ لذنبكم في حقي بعد ذلك، ثم زادهم وأحسنَ إليهم فدعا لهم بقوله: ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾، ولنا في الأَنبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ أُسْوَةٌ

حَسَنَةٌ، فليصل الأَخُ أخاه أو أُخْته بِالْعَفْوِ والصفح، فإذا صار العفو والصفح سجية البيتَ الواحد فيما بينهم؛ تعدىٰ ذلك الخُلُق الكريم ذلك البيت إلىٰ الجار والقريب، ثم إلىٰ المجتمع، فَمَا أَجْمَله من خُلق يعود نفعه علىٰ الجميع.

ومن مواضع العفو ما يكون بين الزوجين، فإِنَّ الزَّوْجَانِ من أَوْلَىٰ النَّاسِ بالعفو، وأحوجهم إليه، والمبادرة إِلَىٰ الصفح عند أدنىٰ سبب يوجب النفرة بينهما، فالعفوُ فِيمَا بينهما مطلُوبٌ ومَرغُوبٌ، فإذا ما أخطَأَ أحدُهمَا بِغيرِ قصدٍ فأَغضَبَ الآخرَ، وقَدْ دعَا اللهُ تَعَالَىٰ الأزوَاجَ للعَفوِ عن زوجَاتِهِمْ، فقال عَزَّوَجَلَّ:

﴿وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤]، كما حَثَّ اللهُ تعالىٰ الزَّوجَةَ علَىٰ تَذَكُّرِ ما كان بينهُمَا من مَوَدَّةٍ ورَحمَةٍ، وَمَحَبَّةٍ وَأُلْفَةٍ، فَتُحسِنُ

المُعَامَلَةَ، فَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، وفي الآيةِ دعوَةٌ إلىٰ تَذَكُّرِ المَزَايَا والفَضَائِلِ، والتَّجَاوُزِ عن الأَخطَاءِ، حَتَىٰ تَلِينَ القُلُوبُ، وتتآلَفَ النُّفُوسُ، وتتَمَاسَكَ الأُسَرُ، ويتَلاحَمَ المُجْتَمَعُ.

وقد يقع الخلافُ بين الواحد منا مع أحد أصدِقَائِهِ أو جيرَانِهِ أو شرَكَائِهِ أو غَيرِهِم من أَبناءِ مجتَمَعِهِ، فيَكتُمُهُ المَرء في نفسِهِ، ويُزين له الشيطان في نفسه قطيعتهم، والبُعد عنهم، وكان الأولىٰ بِهِ أن يَعْفُو عَنْهُم ويُسامحهم، اقتِدَاءً بِرَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي وَصَفَتْهُ أَمُ المؤمنين عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بقولِهَا: «**لَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَح**»[٦]، فقد أَسَاءَ إليهِ قومُهُ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسَبُّوهُ وآذَوْهُ في نفسِهِ وأهلِ بيتِهِ وأصحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأخرَجُوهُ

(٦) رواه الترمذي (٢٠١٦).

من وطَنِهِ الَّذِي تَرَبَّىٰ فيهِ وأَحبَّهُ، فلمَا دخَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكَّةَ يومَ الْفَتْحِ منتَصِرًا وقدْ لاَذَ النَّاسُ بالْبَيتِ الحرام؛ صَفَحَ عنهُمْ وعفىٰ عنهم، وعامَلَهُم معَامَلَةَ الأَخِ الكَرِيمِ، فَنَطَقُوا بأَلسِنَتِهِمْ وَقُلُوبِهِم: أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، وأَحَبُّوهُ وتآلَفُوا مَعَهُ، وَصَدَقَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إذ يَقُولُ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

ومن مواضع العفو ما يكون بين رب العمل والعامل، فالتعامُل مع العمّال والخَدَم محفوف بالخطأ والزلل، والعفو معهم مطلوبٌ، والتعامل معهم يُجسِّدُه تمام التجسيد مقولةُ أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ قال: «خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ، لَا وَاللهِ مَا سَبَّنِي سَبَّةً قَطُّ، وَلَا قَالَ لِي: أُفٍّ قَطُّ، وَلَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ فَعَلْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَهُ، وَلَا لِشَيْءٍ لَمْ أَفْعَلْهُ: أَلَّا فَعَلْتَهُ» (٧).

---

(٧) رواه أحمد (١٣٠٣٤).

وهذِهِ دعوَةٌ للعَفوِ والصَّفْحِ عَمَّنْ بدَرَتْ منهُمُ الإِسَاءَةُ وَالأَذَىٰ، فمن أَحبَّ عفوَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فليعفو عمن أخطَأَ فِي حَقِّهِ، فإِنَّ الجَزَاءَ من جِنْسِ العَمَلِ، فكمَا تعفُو عن المُذْنِبِ إِلَيْكَ؛ يَغْفِرُ اللهُ لَكَ، وكَمَا تصْفَحُ؛ يُصْفَحُ عنْكَ، قال رسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**ارْحَمُوا تُرْحَمُوا، وَاغْفِرُوا يَغْفِرِ اللهُ لَكُمْ**»(٨).

والعَفْوُ لاَ يَعْنِي الضَّعْفَ، وَلَكِنَّهُ ثِقَةٌ بعد الله فِي النَّفْسِ، وَتَحَكُّمٌ فِي غَلَبَةِ الْهَوَىٰ.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلنا من العافين عن الناس، وأن يجعلنا ممن تزين بهذا الخُلُق العظيم.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمّدٍ وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

---

(٨) رواه البخاري في الأدب المفرد (٣٨٠)، وأحمد في المسند (٦٥٤١).





شبكة بينونة للعلوم الشرعية